(٩٦)

السَّيِّدُ ﷻ

جاء في «سنن أبي داود» عن عبد الله بن الشخير ﷺ قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ: فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السَّيِّدُ اللهُ ﷻ».

قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً، فقال: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»[حديث صحيح].

«يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ» أي: لا يغلبنكم الشيطان.

وفي اللغة: السَّيِّد: الذي فاق غيره بالحلم والمال والرفعة والنفع، والمعطي ماله في حقوقه، ويطلق السيد على: من لا يغلبه غضبه، ويطلق على: الكريم والملك والرئيس.

وسيد العبد: مولاه، وسيد المرأة: زوجها، قال ﷻ: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾[يوسف: ٢٥].

والسؤدد: الشرف، وسيد كل شيء: أشرفه وأرفعه.

فمن الذي كمل في سؤدده غير الله ﷻ؟!

❐ في ظلال اسم السيد:

فربنا ﷻ هو السَّيِّد؛ الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته.

فالله ﷻ السَّيِّد الذي كمل في أنواع الشرف والسؤدد.

هذه صفاته ﷻ التي لا يشاركه فيها أحد، ولا ينازعه فيها مخلوق.

وَهُوَ الإِلَهُ السَّيِّدُ الصَّمَدُ الَّذِي

صَمَدَتْ إِلَيْهِ الخَلْقُ بِالإِذْعَانِ

الكَامِلُ الأَوْصَافِ مِنْ كُلِّ الوُجُوْهِ

كَمَالُهُ مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانِ

الخلق كلهم عبيد له ﷻ، كلهم محتاجون إليه؛ الملائكة والإنس والجن ليسوا في غنىً عنه؛ فهم الفقراء إلى كرمه ولطفه ورعايته، فكان حقًّا له ﷻ أن يكون سيدًا، وكان حقًّا عليهم أن يدعوه بهذا الاسم.

ربنا ﷻ السَّيِّد المتصرف في الكون؛ لا ند له.

وهو ﷻ السَّيِّد الذي ينبغي أن تصرف له وحده الطاعة والذل والخضوع، لا شريك له.

فهو السَّيِّد المعبود؛ لا شريك له: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٦٤].

قال ابن عباس ﷺ: "إلهًا سيِّدًا".

❐ فكر خاطئ!

قد يعطى الإنسان أموالاً، وقد يرزق عيالاً، ويوهب جاهًا، أو ينال منصبًا ومركزًا كريمًا، أو زعامةً عريضةً، أو رياسةً مكينةً، قد يحف به الخدم، ويحيط به الجند، وتحرسه الجيوش، وترضخ له الناس، وتذل له الرؤوس، وتدين له الشعوب؛ فيبلغ من سؤدد هذه الدنيا مبلغًا عظيمًا؛ لكنه سؤدد ناقص زائل.

خَدَعَتْهُمُ الأَحْلاَمُ فِي سِنَةِ الكَرَى
مَا أَكْذَبَ الأَحْلاَمَ وَالتَّأْوِيلاَ!

ومن آمن بأن الله هو: السيد الحقيقي؛ تعلق قلبه به وحده ﷻ؛ تعلق خوف ورجاء واستعانة وتوكل؛ لأنه المتصرف في شؤون العباد، وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، والعباد جميعًا فقراء إليه؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:١٥]، فلا يذل ولا يخضع إلا لله الواحد القهار السيد الصمد.

❐ يا سادة!

أركان السؤدد في الخلق: الكرامة، والشرف، والرفعة، وعلو الذكر،

وهذه لا تكون إلا في طاعة الله ﷻ؛ ولذلك ساد الأنبياء والأولياء، وكانوا شامةً بين الناس.

وأما من ابتعد عن الله وكفر به؛ فلا كرامة له ولا سيادة، وإن حصلت لهم السيادة الدنيوية فهي زائفة ومؤقتة.

ولذا؛ جاء النهي عن تسمية المنافق بالسيد، روى أبو داود عنه ﷺ أنه قال: «لاَ تَقُوْلُوْا لِلْمُنَافِقِ: سَيِّدٌ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ ﷻ» [حديث صحيح].

❐ حمى السيد :

وإطلاق (السيد) على المخلوق: جائز؛ لقوله ﷻ عن يحيى ﷺ: ﴿وَسَيِّدًا﴾[آل عمران:٣٩]، وجاء في حديث الشفاعة: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يوم القِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ»[رواه مسلم]، وقوله ﷺ في سعد بن معاذ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ»[رواه البخاري].

ولا تعارض بينهما وبين رواية: «السَّيِّدُ اللهُ»[حديث صحيح. رواه أبو داود]؛ لأن سيد الخلق عند المؤمنين يقصد بها: الرئاسة والإمامة.

والعرب تقول: فلان سيدنا؛ أي: رئيسنا والذي نعظمه.

وأما وصفُ الله ﷻ بالسَّيِّد فمعناه: أنه مالك الخلق، والخلق كلهم عبيده.

ونهي النبي ﷺ عنه لما قيل له: أنت سيدنا، قال: «السَّيِّدُ اللهُ، قُولُوا

بقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلاَ يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»[حديث صحيح. رواه أبو داود]، فيه: دليل على: حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد، وصيانته لجنابه، وسد طرق الشرك.

وكره ﷺ أن يمدح في وجهه، مع أنهم لم يقولوا إلا حقًّا، فهو القائل: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ»[أخرجه مسلم]، وخوفًا عليهم من انصراف القلب إلى نوع من التعلق بالمخلوقين والذل لهم والانكسار؛ الذي لا يحل ولا يجوز صرفه إلا لله الواحد القهار.

اللهم إنا نسألك باسمك السيد! أن ترفع ذكرنا، وتضع وزرنا؛ فأنت على كل شيء قدير.